السلسلة البيضاء

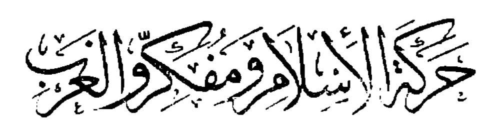
(٣)

حركة الإسلام ومفكرو الغرب

بقلم

الدكتور محسن عبد الحميد

www.iqra.ahlamontada.com
منتدى إقرأ الثقافي



بقلم
الدكتور محسن عبد الحميد

الدار العربية للطباعة ـ بغداد هاتف ٢٧٠١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

هنالك حقيقة واضحة يعرفها كل من تصدى لدراسة التاريخ الحديث لامتنا ، وهي : ان الاسلام كان وراء كل الحركات التاريخية والثورات الشعبية التي قامت بها الشعوب الاسلامية في مختلف اقطارها لاثبات وجودها ، وطرد المحتل الغاصب لارضها ، والمطالبة بارجاع حقوقها المسلوبة ، وتقويم اوضاعها المقلوبة ، ورفع الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي عن كامل ابنائها .

لقد هيأ القرآن صفوف المسلمين للجهاد ، وأفهمهم ان السكون هو الموت ، والحركة هي الحياة ، وان الامة بريئة من حقائق الاسلام ما ارتضت الذل ، وعبدت الدنيا ، وكرهت الموت في سبيل الله .

قد يقول قائل ، هذا مجرد افتراض ، فاين استقراؤك الشامل للحوادث والوقائع ؟

وفي الجواب عن ذلك أبدأ بعرض وتوضيح بعض الشواهد الناطقة على تلك الحقيقة الساطعة .

عندما دخل نابليون مصـــر معتديا ظالما ، محاربا باسلحته الجديدة ، وجيشه المنظم الشعب المصرى المؤمن الفقير البائس ، كان الحكام سادرين في غيهم ، لاهين مع لياليهم ، غافلين عن هذه الحرب الصليبية الاستعمارية الجديدة على الامة ، فلم ينزل الى الميدان الا علماء الاسلام، ولم يعلن صيحة الجهاد الا كبار علماء الازهر . فقد نفخوا في الامة روح الحركة والكفاح ، واشعلوا فيصدرها حب الموت في سبيل الله ، واخرجوا الحكام من جحورهم ، واجبروهم على خوض المعارك ، والتقدم نحو العدو . فقاتل المصريون قتال الابطال ، وقاوموا على قلة عددهم ، وضعف تنظيمهم ، مقاومة لا هوادة فيها ، فسقط من ابنائه الشهداء من ساحل البحر الابيض الى باحة الجامع الازهر، يحاربون العدو شبرا شبرا ، ولا يولونهم الادبار ، لانه كان معلوما لديهم بالضرورة ان التولي يوم الزحف في نظر الاسلام « كبيرة » .

فلما اخفقوا لاسباب ذكرناها ، دخلوا الازهر مع العلماء الصادقين القادة ، فلم يرع العدو حرمة الجامع فدخلوه بخيولهم وقبضوا على كبار علماء الازهر يومئذ

وهم عشرات ، فشنقوهم أمام الازهر في الواقعة المعروفة التى أدمت قلوب المصريين ، وهزت أركان العـــالم الاسلامى •

وأما ثورات المصريين على الانجليـــز ومنها ثورة (١٩١٩م وحركة الفدائيين في القنال سنة ١٩٥٠-١٩٥٢) فكان الازهر والمساجد منطلقها والعلماء خطباءها ، وشباب الاسلام وقودها •

وفي السودان ، كل الثورات التى قامت تجاهـــد الانجليز كانت ثورات يقودها الاسلام • ومن اشهرها ثورة المهدى المشهورة في نهاية القرن التاسع عشر ، والتى أعلن فيها الجهاد الشامل بين السودانيين ، فقاتلوا المستعمر المحتل في حوادث معروفة ، ووقائع مشهودة •

وأما ليبيا فثورات السنوسيين وعلمائهم وأهل الله فيهم مشهودة مذكورة ، توجتها ثورة عمر المختار التى كانت ثورة قرآنية خالصة ، نفثت في الامة روح الكفاح والجهاد، والنضال المستمر في سبيل القضاء على الاستعمار الايطالي الفاشي في ليبيا •

وأما في تونس فدراسة واعية لتاريخها مع المستعمر ،

تطلعك على مدى عمق روح الاسلام في ثوارها الاوائل ، والاواخر .

وأى مؤرخ لا يذكر ثورة الامير عبدالقــادر الجزائرى ، يوم أن رفع القرآن بيده ، واعلن الجهاد ، وقاد الجيوش وضرب المستعمرين الفرنسيين ضربات ساحقة ماحقة ، وكانت تلك الثورة على قاب قوسين من النصر النهائى ، لولا خيانة الاقطاعيين وارباب المصالح من طلبة الدنيا .

وهل يمكن لدارس يدرس حركـة التحـــرير الجزائرية الحديثة ان ينسى حركـة الامام المجـــاهد عبدالحميد بن باديس الذى نفخ في الجزائر روح الحركة، وناداها الى الجهاد ، وأنشأ في سبيل الحفاظ على اسلامها وعربيتها المدارس والمعاهد والمنتديات ، وبث تلاميذه المئات في كل قرية ومدينة ، يدعون الناس الى الثورة ، ومقاومة المستعمر المحتل ، وحفر الشيخ على قلب كل جزائرى الشعارات الاتية (الاسلام ديننا ، والجــزائر وطننا ، والعربية لغتنا) . وبعد موته بسنوات اعلن تلاميــذه واتباعه ، والمتأثرون بافكاره الثورة الجزائرية المسلحة

الكبرى ، فاستقلت الجزائر ، بعد مقاومة عنيفة دامية ، ولم ينس الشعب المؤمن والقادة التلامذة استاذهم الاكبر ابن باديس ، فاتخذوا ١٦ نيسان من كل سنة ، وهو يوم ذكرى وفاته (١٩٤٠م) يوما للعلم ، تمجيدا لاعماله الجليلة ، وجهاده الرائد ، وعلمه الغزير ، وعمله العظيم في قيادة الشعب الجزائري •

وقد بدلت هذه الثورات الاسلامية في شمال افريقيا فكر واحد من اكابر فلاسفة الماركسية في العالم وهــو (روجيه غارودى) الفرنسي ، اذ اعلن في محاضراته ومقالاته في كل مكان ذهب اليه ، ان الاسلام لا يشبه أى دين اخر في طبيعته ، فهو دين الحركة والكفاح والثورة ، وهو الدين الذى دفع المسلمين قاطبة لرفض الاستعمار والاستغلال ، وهو دين لا يهادن الظلم والظالمين •واضاف ان الاسلام لم يكن اداة بيد الطبقة المستغلة (بكسر الغين) على مدار التاريخ ، وانما كان دائما بجانب المظلومــين والمستغلين (بفتح الغين) • واكد ان (ماركس) لما جاء بنظريته عن الدين وانكار دوره في نضال الشعوب ، وكونه اداة بيد الطبقة الحاكمة المستغلة ، لم يكن على علم بالاسلام

وتاريخه ومبادئه • ولو اطلع عليه لبدل رأيه ، حيث انه لم يستنبط آراءه الا من تاريخ اوربا في عصر سيطرة الكنيسة على الحياة •

وقد نشرت مقالاته ومحاضراته في اعداد مجلة (الطليعة) القاهرية بين اعداد عامى ٦٨-١٩٦٩م • فمن أراد ان يطلع عليها رجع اليها •

هذا بالنسبة الى شمال افريقيا

أما بالنسبة الى الشرق الاسلامى ، فالوضع لا يختلف عن غربه •

ففى الهند يكفى أن نذكر الثورة الاسلامية الكبرى عام (١٨٥٧م) في دهلى وكثير من مقاطعاتها ضد الانجليز ، حيث قادوا الشعب الهندى في قتال مرير ضد جيوشهم ، ولولا خيانة مهراجات الهنادكة ، وكثير من الاقطاعين وارباب المصالح ، لاستطاع المسلمون ان يطردوا الانجليز من الهند قبل خروجهم بقرن كامل ، ولكن ثورتهم قد اخفقت ودخل الانجليز الى (دهلى) وارتكبوا من المجازر والفضائح الكثير ، منها انهم نفذوا حكم الاعدام الجماعى بثلاثين الف شاب مسلم • وعلى الرغم من انتصار

الانجليز في هذه المعارك يومئذ ، الا ان هذه الثورة وضعت الشعب الهندى فيما بعد على طريق النضال المستمر في سبيل نيل الاستقلال .

وأما في اندونيسيا فلا يمكن ان يتجاهل اى مؤرخ دور علماء الاسلام والجماعات الاسلامية المسلحة كجماعة دار الاسلام في دفع الشعب الاندونيسي الى الجهاد المستمر الطويل ضد الاستعمار الهولندى .

ولما احتل اليونان غرب تركيا ، وأراد مصطفى كمال أن يحاربهم بايعاز سري من السلطان السجين بيد الانجليز في اسطنبول محمد رشاد . وكان يرفع القرآن بيده في المدن والقرى ، ويدعو الناس الى الجهاد باسمه ضد المحتلين . فزحف الناس وراء القرآن صفا واحدا ، فسحقوا اليونان في معارك معروفة . ثم لما استوى له الامر باسم الاسلام قلب هذا الظالم اه ظهر المجن،وحاربه وأهله حربا ضروسا لا رحمة فيها . وخضع خضوع الذليل للشروط السرية في معاهدة لوزان التى فرضها العدو الغربي . فالغى الخلافة ، وخطط للقضاء على مختلف مظاهر الاسلام في تركيا واعلن اللادينية . ولما ثار المسلمون

عليه ثورات معروفة ، عاملهم بالحديد والنار ، وقاد الالوف من العلماء والفضلاء والاتقياء الى ساحات الموت الجماعي .

وهل يستطيع احد ان ينكر دور علماء الاسلام في ثورة العشرين في العراق ألم يدعو الناس الى جهاد الكافر المستعمر ؟ ألم ينزلوا الى الميدان للقتال في كل مكان .

وثورات الشيخ محمود في العشرينات في شمال العراق . ضد الانجليز ، كان يقف وراءها الدافع الديني الذى كان يدعو القوم ليل نهار الى جهاد المستعمر المحتل لانهم داسوا أرض الاسلام .

ان الناس لم ينضموا كما حدثني كثير من كبار السن الذين اشتركوا في تلك الحركات الا لان الشيخ كان شيخا لطريقة صوفية دعا اتباعه ومريديه وسائر الناس الى الخروج لجهاد المستعمر .

لقد كان الاحساس الاسلامي العميق في الشعب المؤمن يومئذ وراء حركة الاستقلال ، والتخلص من حكم الانجليز للعراق .

كن مؤرخا امينا وادرس سائر الحركات التي قامت

ضد المحتلين في بلاد الاسلام كلها ، فستجد الاسلام وراء كل خطوة جبارة . وستجد ان علماء الاسلام ، وفقهاءه الابرار ومصلحيه العظام كانوا طليعة المجاهدين الصادقين.

ولم يفعل الاسلام ذلك بدافع بذر بذور روح التعصب في القوم ، وانما فعل ذلك ، ويفعل ذلك ـ بدافع رفع الظلم عن المسلمين وغيرهم ، واستخلاص حقوقهم ، وانقاذ أرضهم وخيراتهم ، والحيلولة دون القضاء على عقيدتهم وايمانهم .

يقول الامام المجاهد عبدالحميد بن باديس في ذلك (نهضتنا نهضة بنيت على الدين اركانها ، فكانت سلاما على البشرية . لا يخشاها ـ والله ـ النصراني لنصرانيته ـ ولا اليهودى ليهوديته ، ولا المجوسي لمجوسيته . ولكن يجب ـ والله ـ أن يخشاها الظالم لظلمه ، والدجال لدجله ، والخائن لخيانته) .

ونحن نكتب اليوم عن هذا الموضوع الخطير ونهدف الى هدفين اثنين :

اولهما : اظهار كذب من يدعى من الماديين الملاحدة: ان الاسلام كان سلاحا بيد الظالمين، يخدرون به المظلومين.

وان علماءه كانوا عملاء للمستعمرين والمستغلين • وليس هناك افتراء على الحق اعظم من هذا الافتراء الذى لا يخفى الا على السذج والجهلة •

وثانيهما :

تنبيه الغافلين من امتنا في مختلف انحاء العالم الاسلامي انهم ببعدهم عن الاسلام وتنكرهم له • وجهلهم لمبادئه ، سوف يفقدون في نضالهم عدوهم ، وبنائهم حضارتهم وحياتهم الجديدة قوة هائلة من الايمان العميق الشافي لامراض الحضارة ، والموحد للصفوف المشتتة ، والمبادىء العالية ، والمثل الرفيعة ، والتشريعات الحكيمة العادلة ، التي تأخذ بيد الامة الى مدارج الرقي ، ومواضع الكمال والرشد في هذه الدنيا •

فهل نحن فاعلون يا قوم ••• مدركون لخطورة ما نقدم عليه من تجاهلنا لاسلامنا الخالد •

(٢)

هنالك ظاهرة فكرية واضحة في العالم الغربى بالنسبة لحركة الدخول في الاسلام ، وهى ان الذين يختارون

الاسلام ، ويخلصون له ، ويدافعون عنه ، هم من ذروة الطبقة المثقفة هناك . أي أن الاسلام منذ بداية هذا القرن شرع يدخل المجتمع الغربي من قمته لا من قاعدته . وهذا بحد ذاته يشكل مسألة مهمة تعود الى سببين رئيسين :

أولهما : ان امثال هؤلاء المفكرين من اصحاب العقول المثقفة الحرة ، ومن المختصين بالدراسات الانسانية المتنوعة، يعرفون جيدا تطور المؤسسات الدينية عندهم ، وانعكاسات الفكر البشري على مبادئها ووصاياها واعطاءها ملامح لا يمكن أن تتفق مع المقدمات العقلية اليقينية التي تقود الى قبول الوحي الصادق ، وتميز بينه وبين الكهانة والدجل والتي تؤدي الى نتائج عقلية عامة من خلالها يستنتج المفكرون والعقلاء صلاحية تلك المبادىء ذات الصبغة البشرية او عدم صلاحيتها لمواكبة الحياة في كل زمان ومكان .

وثانيهما : وضوح عقيدة التوحيد الاسلامي ، وبناء الوحي المحمدي عليه الصلاة والسلام على المقدمات العقلية الصحيحة ، وعمق نظرة الاسلام عن الكون والمجتمع ، وشمول شريعته لنواحي الحياة الانسانية جميعها ،

وانسجامها مع الفطرة ونتائج العلم الصحيح ، ونبــوت معجزات القرآن العقلية والعلمية والتشريعية . كل ذلك يقود هؤلاء المفكرين الى الاسلام ويضعهم أمام الحقيقة الكبرى ، وينقذهم من الحيرة ، وينتشلهم من القلـــق والضياع والضلالة . كأنهم كانوا قبل ذلك في خضم بحر متلاطم على ظهر سفينة خرقاء ، لا يقر لها قرار ، تقذفها الاعاصير الهوج من موجة الى أخرى . ثم يهدأ الجو ، وتصفو السماء ، وتشرق الشمس ، وتسكن السفينة الى مرفأ أمين ، فيحتضن من كانوا عليها الحياة آمنين مطمئنين بعد أن كانوا حائرين يائسين .

هكذا كان شأن المفكر الانجليزى والعالم الرياضى اللورد هدلى المتوفى سنة ١٩٣٥ للميلاد ، يوم أن اختار الاسلام له دينا ، فاخلص له غاية الاخلاص ، وتحول الى داعية مؤمن ملأ المجتمع البريطانى بالحديث عـــن الاسلام ، وعقيدته الالهيـــة السامية ، ومبادئه الانسانية العظيمة القائمة على مراعاة حرية الانســان وكرامته ، وتحقيق مصالحه ، والتسامح الكريم واحترام جميع الاديان السماوية .

لقد كان اللورد هدلى رحمه الله تعالى في بداية حياته « بروتستانتى المذهب » الا انه بقى حائرا متسائلا ، ينشد الحقيقة ولا يعثر عليها . ثم درس المذهب الكاثوليكى فلم يجد نفسه الضائعة فيها ، ثم درس الاسلام في مصادره، دون أن يتأثر بفكر احد او يصادق مسلما . واستمرت هذه الجولة الفكرية عنده سنين طويلة ، قارن فيها بين الاسلام وما كان عليه من دين ومذاهب ثم قارن بينه وبين الفلسفات التى كانت تتصارع في زمانه ، ثم خرج من هذه الدراسة العلمية الواعية ، مؤمنا مسلما وجهه لله رب العالمين . وسخر كل ما يملك من مال وقلم لنشر الاسلام في ربوع بلده والبلاد المجاورة .

وقد صدق الشاعر فيه ، عندما القى قصيدة صادقة في الحفل التكريمى الذى اقامه له اهل الاسكندرية ورجالات مصر ، عند مروره بها الى اداء فريضة الحج ، جاء فيها :

اذا كرموا الافـراد للدين والفضـل
فانت جديـر بالكرامة يا هـدلى

عرفت طريق الحـــق بعد اختبـــاره
فأوردت عن عقلٍ واصدرت عن فضل

وبعده جاء المفكر الانجليزى « خ • كمال الدين ». بعد ان تقلب في مذاهب شتى ، فآمن بالاسلام ، ودرس حياة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم في مصادرها التاريخية الموثقة ، وهام به ، وعشق خصاله ، ودرس الاسلام وتعمق في مقاصده وغاياته ، ثم الف كتابه القيم « المثل الاعلى في الانبياء » وهو كتاب أدبى فلسفى تاريخى رائع ، أراد فيه اثبات ختم النبوة بنبينا الاكرم عليه الصلاة والسلام ، وانه هو المثل الاعلى في الانبياء ، ولابد للبشرية ان تتخذه نبيا وقائدا وزعيما ، حتى تستطيع ان تتخلص من الظلمات التى تعيش فيها ، من الرذائل التى تفتك بابنائها ، ومن الحيرة القاتلة التى تفتت اكبادها ، وتمزق احشاءها ، وتذهب بعقولها محطمة ممزقة •

ودخل في الاسلام بعد هذين الرجلين كثير مـــن الانجليز من أصحاب الثقافات العالية والمكانات المرموقة على الرغم من تعرضهم الى اضطهاد المجتمع وقطيعة الاهل، والدس والافتراء، والنيل من السمعة، والمحاربة في الارزاق •

ولم تنحصر حركة الدخول في الاسلام من القمة على بلاد الانجليز ، وانما شملت الاقطار الغربية كلها .

فهذا هو المفكر الكبير والصحفى العالمى النمسوى الدكتور « ليوبولد فايس » محمد أسد ، يختار الاسلام في الثلاثينات من هذا القرن ، بعد جولات له في العالم الاسلامى ، على الرغم من تأخر المسلمين وتفرقهم ، وبعدهم عن حقائق دينهم . اذ هذا الوضع القائم الفاسد لا يشجع احدا الدخول في الاسلام . ولكنه يجتاز هذه العقبات بثاقب فكره ، وصفاء معدنه ، ويقبل الاسلام صافيا ، ليعود هو الى المجتمع الاسلامى ، فيحدد داءه ويصف دواءه في كتاباته النفيسة عن الاسلام وأهله (١) .

وقد زار هذا المسلم الفاضل العراق في بداية الخمسينات . وحدثنى من أثق بنقله انه رافقه في زيارته الى سامراء ، وصعدا معا الملوية الشهيرة في جامع المتوكل.

قال صاحبى : ورأيته يستقبل القبلة فوقها وصلى

(١) من كتبه التي ترجمت الى اللغة العربية « الاسلام على مفترق الطرق » ، و « منهاج الحكم في الاسلام » و « في طريقي الى مكة » .

ركعتين في خشوع تام ، ثم جلس متأملا ما حولها ساكنا ، فبكى طويلا على الآثار الخالدة ، والحضارة الزاهرة ، والمجد التليد ، والاسلام الذى ظلمه أهله قبل غيرهم •

وهذا الكاتب العظيم من يوم دخوله الاسلام لم يهدأ له بال ، فهو أمة هناك ، في الدعوة اليه ونشر مبادئه عن طريق الكتب والمجلات والنشرات والندوات والمناقشات واجهزة الاعلام الصوتية والصورية •

وهل يمكن ان ينسى المسلم المعاصر الكاتب المجرى الكبير الدكتور عبدالكريم جرمانوس الذى ظل يتقلب بين الاديان والملك حتى اهتدى الى الاسلام وسكن في مرفئه الامين • وظل يدعو الى عقيدته وشريعته ومثله الى آخر يوم في حياته •

أو هل يمكن الا يذكر في هذا المجـــال الرسام الفرنسى العظيم « ايتين دينيه » الذى اختار الاسلام من خلال حسه المرهف ، وشاعريته الاصيلة ، وكتب كتابه الخالد عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعنـــوان « محمد رسول الله » صور فيه حياة الرسول تصويرا رائعا ، وكأنها لوحة فنية رائعة زاخرة بالحياة والحركة ،

ومعبرة عن الايمان الصادق والفكر النير . وكتابه « اشعة خاصة بنور الاسلام » الذى عرض فيه حقائق الاسلام ، ورد فيه على جهالات الجاهلين ، ومطاعن الحاقدين ، وهجمات المبشرين ، وافتراءات المستشرقين ، ولم تقف حركة الدخول في الاسلام عند هؤلاء وآخرين كثيرين غيرهم ، بل استمرت تدفق بقوة واقتحمت جميع المجالات ، بقوة الحجة والدليل .

ومن أواخر من دخلوا في الاسلام من السويد البلد الذى اوشك على ترك دينه في جميع قطاعات الحياة، استاذ معروف من أساتذة الفلسفة في جامعة استكهولم .

فقد حدثنى احد زملائى في الجامعة ، انه التقى به في اثناء أدائه فريضة الحج في احدى السنوات الماضية القريبة ، فحدثه انه كان بروتستانيا ثم انقلب الى الكثلكة ثم درس البوذية فلم يطمئن اليها فكره ، ثم بقى يعيش الفراغ الفكرى حينا .

قال : وبينما انا في مكتبة الجامعة يوما اذ وقع بصرى على ترجمة القرآن الكريم ، فانكببت عليها اقرأ بشغف

عظيم ، واذا بي أجد ما كنت أسأل عنه ، وما كنت أبغي الوصول اليه . واذا حقائق الوجود أمام عقلي واضحة ، فاتبدل تبدلا عجيبا ، وأشعر انني ولدت من جديد بدخولي في الاسلام ، وسجودى خمس مرات في اليوم لخالق الكون ومنزل القرآن . فهدأ بذلك عقلى ، واطمأنت نفسى على حال لم أعهدها في حياتي الماضية المضطربة قط .

قال زميلى : فارسلها حسرات وزفرات على اوضاع المسلمين ، ثم قال الحمد لله الذى هدانى الى الاسلام قبل حضورى الى دياره ، اذ لو جئت خالى الذهن عن المبادىء الاسلامية ومتطلباتها في الحياة ، لكان جائزا ان يحول بينى وبين جمالها وسر عظمتها وخلودها .

وهناك نمط آخر غير الداخلين في الاسلام . وهم مجموعة من عظام المفكرين الغربيين الذين درسوا الاسلام فاعجبوا بما فيه من التوحيد الخالص . والانظمة القانونية الخصبة . واحبوا الرسول منقذا للانسانية ، وداعيـا لاخوتها ، وناشرا للمثل العليا والقيم الفاضلة بين ابنائها ، ونموذجا رفيعا كاملا للخصائص التى يجب ان تتوفر في المجتمع الانسانى بين البشر ، ولو متفرقة فيهم .

ومن هؤلاء الفيلسوف الانجليزى المعروف توماس كاركيل ، صاحب كتاب « الابطال وعبادة البطولة » الذى كتب فيه فصلا بعنوان (البطل في صورة رسول) كشف فيه عن نواحي الصدق والعظمة الانسانية في حياة الرسول الكريم . مما عرضه الى اضطهاد شديد من قبل الكنيسة كنتربرى .

ومنهم الفيلسوف الروسي الشهير (تولستوي) الذى تعرض الى الحرمان من الكنيسة ، بسبب مقالته الرائعة عن رسول الاسلام الذى انصفه فيها انصافا عظيما في مجتمع ، كله كان تعصبا على الاسلام ، وحقدا على ابنائه ، وجهلا بمبادئه وسيرة نبيه .

ومنهم الكاتب الفرنسى الكبير « جان بروا » في كتابه القيم (محمد نابليون السماء) الذى رفع فيه الرسول الى اسمى مكانة في التاريخ ومجده الى درجة اننى كنت شاكا ان لا يكون صاحب هذا الكتاب مسلما .

ومنهم الفيلسوف الانجليزى الاكبر في القرن العشرين (جورج برناردشو) الذى كتب مقالة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، دفع فيها مطاعن الحاقدين ،

وسخر بعقلياتهم الجاهلة المتعصبة ، واعتبرها عارا على العقلية الحديثة يجب أن تزول ، وانهى مقالته بقوله (لو أن محمدا قام من قبره لحل مشاكل العالم وهو يشرب فنجانا من القهوة) .

ثم تنبأ بان اوربا لابد ان تتحول الى الاسلام . وقصد برناردشو بكلمة مختصرة ، انه لا حل للمشاكل التى تعانيها الانسانية الا في الاسلام .

وبرناردشو عندما اطلق هذا الكلام لم يكن جاهلا بمبادىء وفلسفات اوربا ، ولم يكن بعيدا عن مشاكلها ، ولم يكن على غير اطلاع على الاديان الاخرى . وأخيرا لم يكن أجيرا للمسلمين ، أو رجعيا !! وانما كان كاتبا حرا تقدميا بالمفهوم الاوربى الحديث . دافع عن الكادحين والمظلومين ، وصور آلام المجتمع الانسانى تصويرا رائعا في مسرحياته وكتاباته .

واخيرا ـ وليس آخرا ـ الفيلسوف المادى الفرنسى (روجيه غارودى) الذى عندما درس الاسلام وما فيه من حركة وحيوية ، ونظرة شاملة واقعية لقضايا الوجود ، أعاد النظر في ماديته والحاده ، وبدل نظرته حول الدين ،

وفهم ان ما كان يقال عن اعاقة الدين لحركة الحياةوالتقدم اذا كان ينطبق على المؤسسات الدينية في الغرب ، فانه لا يمكن ان ينطبق على الاسلام • فلقد تبين له ان الاسلام ليس هو الدين الذى يساند المستغلين والظالمين ، بل هو دين الثورة الحقيقية على الظلم باشكاله ، وهو الدين الذى انقذ العالم الاسلامى من الاستعمار الغربى على حـــد تعبيره (٢) •

وقد تسأل ـ يا قارئي العزيز ـ فتقول : يا ترى هل الاسلام بحاجة الى دخول هؤلاء فيه • وهل كونه حقا لا يمكن ان يثبت الا باسلامهم ، او باعجاب بعضهم •

أقول : لم أقصد بعرض هذه النماذج القليلة ان استدل على ان الاسلام حق ، لأن هؤلاء اسلموا • بل غرضي ان اقول ان كثيرا من جهلة قومنا الذين يقولون ان الاسلام قد استنفذ أغراضه ، وانتهى دوره مخطئون ، وظالمون لانفسهم ولغيرهم • وانهم لا يرددون ذلك عن دراسة علمية حقة للاسلام ، ودراية عميقة باحوال العالم والعوامل المؤثرة فيه • بل يرددونه انجرافا مع المخططات

(٢) راجع سلسلة محاضراته في مجلة الطليعة القاهرية المنشورة في اعداد سنتي ٦٩ ـ ١٩٧٠ •

التربوية الاستعمارية التى أرادت تشويه معالم الاسلام في نفوسنا ، وابعادنا عن انوارها . حتى لا تقوم لنا قائمة ، وحتى لا يكون لنا دور في قيادة الحضارة العالمية .

ومجمل القول اننا اذا ما جمعنا كتابات الداخلين في الأسلام مع نظرات المعجبين به والدارسين بانصـــاف لمبادئه ، واضفنا الى ذلك ما يكتبه العلماء والمفكرون عن الجوانب السلبيةالخطيرة فيالحضارة الغربية ، واقتراحاتهم مبادىء وأوضاعا وحلولا قريبةمنأوضاعالاسلاموحلوله. وصلنا الى أن الاسلام هو دين مستقبل الانسانية ، لعقيدته الصافية الواضحة ، وشريعته الانسانية الخالدة المنسجمة مع نظام الوجود كله ، الملبية لحاجات الانسانية جميعها بلا افراط ولا تفريط . فان نحن قصرنا في ذلك ، ولم نحاول ان ننير به عقولنا وقلوبنا ومجتمعنا ، فان الله تعالى قادر على تحقيق معجزته على ايدى غيرنا من الامم الاخرى . وصدق الله العظيم (فان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم) .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد

١٣٩٤ لسنة ١٩٧٦